الفصل الرابع

نخبة من مشاهير الجود والكرم في العصر الأموي

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول ـ عبيد الله بن عباس

المبحث الثاني ـ سعيد بن العاص

المبحث الثالث ـ عبد الله بن جعفر

المبحث الرابع ـ لبيد بن ربيعة

المبحث الخامس ـ عبد الله بن معمر القرشي

المبحث السادس ـ الحكم بن حنطب

المبحث السابع ـ عبيد الله بن أبي بكرة

المبحث الثامن ـ عبد الله بن عامر بن كريز

المبحث التاسع ـ خالد بن عبد الله القسري

المبحث العاشر ـ الطلحات الأجواد

المبحث الحادي عشر ـ المهلب بن أبي صفرة الأزدي

المبحث الثاني عشر ـ أجواد آل المهلب

المبحث الأول

عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما[1] بن عبد المطلب

يعتبر عبيد الله بن عباس أول من فطّر جيرانه وأول من وضع الموائد على الطرق وأول من حيّا على طعامه وأول من أنهبه وفيه يقول الشاعر:

وفي السنة الشهباء أطعمت حامضاً ... وحلواً ولحماً تامكاً وممزعا

وأنت ربيع للتيامى وعصمة ... إذا المحل من جو السماء تطلعا

أبوك أبو الفضل الذي كان رحمة ... وغوثاً ونوراً للخلائق أجمعا

ومن جوده:

١ـ خرج مرة[2] من المدينة يريد معاوية في الشام فأصابته سماء فنظر إلى نويرة[3] عن يمينه فقال لغلامه: مِلْ بنا إليها، فلما وصلا إليها إذا شيخ ذو هيئة رثة، فقال له أنخ؛ انزل، حُيِّيتَ!. ودخل إلى منزله، فقال الشيخ لامرأته: هيئي شاتك أقضي بها ذمام[4] هذا الرجل، فقد توسمت فيه الخير فإن يكن من مضر فهو من بني عبد المطلب، وإن يكن من اليمن فهو من بني آكل المرار[5] فقالت له: قد عرفت حال صبيتي وأن معيشتهم منها، وأخاف الموت عليهم إن فقدوها. فقال: موتهم أحب إلي من اللؤم[6] ثم قبض على الشاة فأخذ الشفرة وأنشد:

قريبتي لا توقظي بنيه ... أن يوقظوا ينسحبوا عليه

وينزعوا الشفرة من يديه ... أبغض هذا أن يرى لديه

---

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ـ ج١ ص٢٩٤ .

(٢) قصص العرب لمحمد أبي الفضل إبراهيم وشركائه ج١ ص٢١٥ .

(٣) نويره: تصغير نار.

(٤) الذمام: الحرمة.

(٥) آكل المرار: جد امرئ القيس. وبنو آكل المرار: هم ملوك اليمن.

(٦) اللؤم: البخل.

ثم ذبحها وكشط جلدها، وقطعها أرباعا وقذفها في القدر حتى إذا استوت ثرد في جفنة فعشاهم ثم غداهم.

وأراد عبيد الله الرحيل، فقال لغلامه ارم للشيخ ما معك من نفقة.

فقال الغلام لعبيد الله بن عباس ذبح لك الشاة فكافئه بثمن عشرة أمثالها وهو لا يعرفك فقال: ويحك! إن هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة، فجاد لنا بها، وإن كان لا يعرفنا فأنا أعرف نفسي. ارم بها إليه فرماها إليه فكانت خمسمائة دينار.

ثم ارتحل عبيد الله، فأتى معاوية، فقضى حاجته ثم أقبل راجعاً إلى المدينة حتى إذا قرب من ذلك الشيخ قال لغلامه: مل بنا ننظره في أي حالة هو. فانتهيا إليه، فإذا برجل سرى عنده دخان عالٍ ورماد كثير وإبل وغنم ،ففرح بذلك وقال له الشيخ: انزل بالرحب والسعة، فقال له عبيد الله: أتعرفني؟ فقال: لا والله. فمن أنت ؟ فقال: أنا نزيلك ليلة كذا وكذا، فقام إليه فقبل رأسه ويديه ورجليه، وقال: قد قلت أبياتا أتسمعها مني ؟ فقال: هات، فأنشد:

توسمته لما رأيت مهابة ... عليه وقلت المرء من آل هاشم

وإلا فمن آل الـ ... ـمرار ملوك عظام من كرام أعاظم

فقمت إلى عنز بقية أعنز ... لأذبحها فعل امرئ غير نادم

فعوضني عنها غناي ولم تكن ... تساوي عنزي غير خمس دراهم

فقلت لأهلي في الخلاء وصبيتي ... أحقا أرى أم تلك أحلام نائم

فضحك عبيد الله وقال: أعطيتنا أكثر مما أخذت منا. يا غلام أعطه مثلها. وبلغت فعلته معاوية فقال: لله در عبيد الله، من أي بيضة خرج! وفي أي عش درج! .

٢ـ ومن جود عبيد الله بن عباس[١].

أتاه رجل وهو بفناء داره فقال: يابن العباس إن لي عندك يداً وقد احتجت إليها،

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص ٢١٨ .

فصعّد فيه بصره وصوبه. فلم يعرفه ثم قال له: ما يدك عندنا قال: رأيتك واقفاً بزمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظلتك بطرف كسائي حتى شربت!. قال إني لأذكر ذلك وإنه يتردد في خاطري. وفكري ثم قال لقيمه: ما عندك؟ قال مائتا دينار وعشره آلاف درهم. قال ادفعها إليه وما أراها تفي. بحق يده عندنا. قال له الرجل والله لولم يكن لإسماعيل. ولد غيرك لكان فيه ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ ثم شفع بك وبأبيك.

٣ـ ومن جوده أيضاً : انه جاء رجل من الأنصار فقال له يابن عم رسول الله ﷺ إنه ولد في هذه الليلة مولود وإني سميته باسمك تبركاً مني به وإن أمه ماتت فقال عبيد الله بارك الله لك في الهبة وأجزل لك الأجر على المصيبة ثم دعا بوكيله فقال انطلق الساعة فأشتر للمولود جارية تحضنه وادفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته ثم قال للأنصاري عد إلينا بعد أيام فإنك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة قال: الأنصاري. لو سبقت حاتما يوماً واحداً ما ذكرته العرب أبداً ولكن سبقك فصرت له تالياً. وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده وطل كرمك أكثر من وابله.

٤ـ ومن كرمه[1] أيضاً :أتاه سائل وهو لا يعرفه فقال السائل له: تصدق فإني نبئت أن عبيد الله بن عباس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر إليه فقال له: وأين أنا من عبيد الله. قال أين أنت منه في الحسب أم كثره المال، قال: فيهما. قال: أما الحسب في الرجل فمروءته وفعله وإذا شئت فعلت وإذا فعلت كنت حسيبا فأعطاه ألفي درهم. واعتذر إليه من ضيق الحال؛ فقال له السائل: إن لم تكن عبيد بن عباس فأنت خير منه وإن كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس. فأعطاه ألفاً أخرى فقال السائل: هذه هزة كريم حسيب، والله لقد نقرت حبة قلبي فأفرغتها في قلبك فما أخطأت إلا باعتراض الشك بين جوانحي.

---

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص٢٩٦ .

٥ ـ ومن جوده[١] أن معاوية بن أبي سفيان أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا النيروز حللاً كثيره ومسكاً وآنية من ذهب وفضة. ووجهها مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها. فقال: هل في نفسك منها شيء قال: نعم والله إن في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام .

فضحك عبيد الله وقال: فشأنك بها فهي لك. قال جعلت فداك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد عليّ قال: فاختمها بخاتمك وادفعها إلى الخازن فإذا حان وقت خروجنا حملها إليك ليلا. فقال الحاجب : والله الحيلة في الكرم أكثر من الكرم. ولوددت أني لا أموت حتى أراك مكانه يعني معاوية فظن عبيد الله أنها مكيدة منه قال: دع عنك هذا الكلام فإنا قوم نفي بما وعدنا ولا ننقض ما أكدنا .

٦ـ ومن جوده[٢]: أن معاوية حبس عن الحسين بن علي رضي الله عنه. صلاته حتى ضاقت عليه حاله فقيل له لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله. فإنه قد قدم بنحو من ألف ألف درهم فقال الحسين وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ؟.

فو الله لهو أجود من الريح إذا عصفت وأسخى من البحر إذا زخر.

ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه. حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائه ألف درهم.

فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان من أرق الناس قلبا وألينهم عطفاً. انهملت عيناه ثم قال: ويلك يا معاوية مما اجترحت يداك، من الإثم أصبحت حين لين المهاد رفيع العماد.

والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال : لقهرمانه احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابة.

---

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص٢٩٥

(٢) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص ٢٩٥ .

وأخبره أني شاطرته مالي فإن قنعته ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشطر الآخر فقال له القيم: فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها ؟

قال: إذا بلغنا ذلك دللتك على آمر يقيم حالك. فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين قال: حملت والله على ابن عمي. وما حسبته يتسع لنا بهذا كله فأخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل ذلك في الإسلام.

المبحث الثاني

سعيد بن العاص

سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب يعد أحد أجواد العرب وكرمائهم.

كان يأتيه المحتاج يسأله المساعدة فلا يكون عنده شيء يعطيه: فيقول له ما عندي ولكن اكتب عليّ به فيكتب عليه كتابا ثم يدفع له بعد ذلك. توفي سعيد بن العاص سنه ٥٩ هجرية.

ومن أخباره:

جاء سعيد بن العاص[١] إلى الكوفة عاملاً عليها. فكانت له موائد يغشاها الأشراف والفقراء فكان فيمن يغشى موائده رجل من القراء فقير فقالت امرأته يوماً ويحك إنه يبلغنا عن أميرنا هذا كرم وجود فاذكر له ما نحن فيه من حاجة.

فتعشى ذات ليلة فلما انصرف الناس بقي الرجل. فقال له سعيد[٢] رحمك الله لم يبق إلا أنا وأنت فاذكر حاجتك.

فتعقد أيضاً وتعصى، فنفخ سعيد المصباح وأطفأه، ثم قال له: رحمك الله ـ إنك لست ترى وجهي فاذكر حاجتك! قال أصلح الله الأمير، أصابتنا حاجة فأحببت ذكرها لك، قال له: إذا أصبحت فالق فلانا وكيلي! فلما أصبح لقي الوكيل فقال له: إن الأمير أمرني بشيء فهل جئت بمن يحمل قال: لا والله ما عندي من يحمل ورجع إلى امرأته، وجعل يعذلها ويلومها وقال له: إن وكيله قال: جئت بمن يحمل؟ وما هي إلا قوصرة[٣] من تمر أو قفيز من بر. ولو كانت دراهم أو دنانير أعطانيها بيده قالت: ويحك ما كان من

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص ٢٠١ بتصرف ٠

(٢) إني قد أرى جلوسك، وما جلست إلا ولك حاجة فاذكرها ـ رحمك الله!فتعقد الرجل وتلعثم فقال سعيد لغلمانه تنحوا ثم قال له ـ

(٣) قوصرة: وعاء يوضع فيه التمر.

شيء فقوتنا به. فمكث أياما ثم لقيه الوكيل فقال له: ويحك! أين تكون أخبرت الأمير إنه ليس عندك من يحمل، فأمرني أن أوجه معك من يحمل. فوجه معه بثلاثة من السودان يحمل كل واحد بدرة[1] على عاتقه حتى أوردها منزله فأطلق وكاء[2] بدرة منها ووهب لهم منها دريهمات وقال: انصرفوا، قالوا: إلى أين؟ ما حمل له مملوك قط هدية؛ فرجع في ملكه!

ومن أخباره:

لما حضرته الوفاة[3] أي سعيد بن العاص. وهو في قصره قال له ابنه عمرو: لو نزلت إلى المدينة فقال: يا بني إن قومي لن يضنوا علي بأن يحملوني على رقابهم ساعة من نهار وإذا مت فآذنهم[4] فإذا واريتني فانطلق إلى معاوية فانعني له.

وانظر في ديني واعلم انه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل واعرض عليه قصري هذا فأني أنما اتخذته نزهة وليس بمال.

فلما مات أذن الناس به فحملوه من قصره حتى دفن في البقيع. ورواحل عمرو بن سعيد مناخة فعزاه الناس على قبره وودعوه؛ وكان هو أول من نعاه إلى معاوية. فتوجع له وترحم عليه ثم قال: هل ترك دينا قال: نعم ثلثمائة ألف، قال: هي عليَّ! قال: قد ظن ذلك وأمرني ألا أقبله منك، وأن أعرض عليك بعض ماله فتبتاعه؛ فيكون قضاء دينه منه قال: فاعرض عليّ قال: قصره. قال: قد أخذته بدينه قال: هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية[5] قال: نعم فحملها له إلى المدينة وفرقها في غرمائه، وكان أكثرها عدات[6].

---

(١) بدرة: عشرة آلاف درهم.

(٢) وكاء: رباط.

(٣) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص ٢. ٣.

(٤) أذنهم: اعلمهم.

(٥) الوافيه: الدرهم الوافي هو درهم و٤ دوانق والدانق سدس الدرهم.

(٦) عدات: عطايا هبات.

فأتاه شاب من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولى له عليه؛ فأرسل إلى المولى فأقراه الصك؛ فلما قرأه بكى، وقال: نعم هذا خطه وهذه شهادتي عليه. فقال عمرو: من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم، وإنما هو صعلوك من صعاليك قريش؟ قال أخبرك عنه: مر سعيد بعد عزله فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله، فوقف له سعيد فقال: ألك حاجة ؟ قال: لا، إلا أني رأيتك تمشي وحدك؛ فأحببت أن أصل جناحك. فقال لي: ائتني بصحيفة ما، فأتيته بهذه فكتب على نفسه هذا الدين، وقال له: إنك لن تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا فإذا أتانا شيء فأتنا!

فقال عمرو: لاجرم! والله لا يأخذها إلا بالوافية، أعطه إياها. فدفع إليه عشرين ألف درهم.

معاوية وسعيد بن العاص[1]:

مرض سعيد بن العاص وهو بالشام فعاده معاوية ومعه شرحبيل بن السمط ومسلم بن عقبة المري ويزيد بن شجرة الرهاوي. فلما نظر سعيد معاوية وثب عن صدر مجلسه إعظاما له، فقال معاوية: أقسمت عليك أبا عثمان ألا تتحرك فقد ضعفت بالعلة فسقط فتبادر معاوية نحوه حتى حنا عليه وأخذ بيده، فأقعده على فراشه وقعد معه، وجعل يسائله عن علته ومنامه وغذائه ويصف له ما ينبغي أن يتوقاه وأطال القعود معه.

فلما خرج التفت إلى شرحبيل بن السمط ويزيد بن شجرة، فقال معاوية: هل رأيتما خللا في مال أبي عثمان ؟ فقالا: ما رأينا شيئا ننكره. فقال لمسلم بن عقبة: ما تقول ؟ قال: رأيت، قال: وما ذاك؟ قال: رأيت على حشمه ومواليه ثيابا وسخة، ورأيت صحن داره غير مكنوس، ورأيت التجار يخاصمون قهرمانه[2] قال: صدقت كل ذلك قد رأيته. فوجه معاوية إليه بثلاثمائة ألف. فسبق رسول يبشره بها ويخبره بما كان. فغضب سعيد

---

(١) العقد الفريد ـ لأبن عبد ربه ـ ج١ ص٢٩٧ .

(٢) القهرمان: الوكيل.

وقال للرسول: إن صاحبك ظن أنه أحسن فأساء. وتأول فأخطأ. فأما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حركته اتسخ ثوبه. وأما كنس الدار فليست أخلاقنا أخلاق من جعل داره مرآته وتزينه لبسه[1] ومعروفه عطره ثم لا يبالي بمن مات هزلا من ذي لحمة[2] أو حرمة. وأما منازعة التجار قهرماني فمن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه لم يجد بدا من أن يكون ظالما أو مظلوما. و أما المال الذي أمر به أمير المؤمنين فقد قبلناه وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف ولشرحبيل بمثلها وليزيد بمثلها وفي سعة الله وبسط أمير المؤمنين ما عليه معولنا.

فركب مسلم بن عقبة إلى معاوية فأعلمه بذلك. فقال: صدق ابن عمي فيما قال وأخطأت فيما انتهيت إليه. فاجعل نصيبك من المال إلى روح بن زنباع عقوبة لك فإنه من جنى جناية عوقب بمثلها، كما أنه من فعل خيرا كوفئ عليه.

ومن جوده[3] أيضاً ما قاله الأصمعي. قال: كان سعيد بن العاص يسمر معه سماره إلى أن ينقضي حين من الليل فانصرف عنه القوم ليلة ورجل قاعد لم يقم. فأمر سعيد بإطفاء الشمعة وقال: حاجتك يا فتى ؟ فذكر أن عليه دينا أربعة آلاف درهم فأمر له بها. وكان إطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه.

وقال سعيد بن العاص: قبح الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من غير مسألة فما المعروف عوضاً عن مساءلة الرجل إذا بذل وجهه فقلبه خائف وفرائصه ترعد وجبينه يرشح لا يدري أيرجع ينجح الطلب أم يسوء المنقلب قد بات ليلته يتململ على فراشه. يعاقب بين شقيه مرة هكذا ومرة هكذا، من لحاجته فخطرت بباله أنا وغيري، فمثل أرجاهم في نفسه وأقر بهم من حاجته ثم عزم علي وترك غيري قد انتقع لونه وذهب دم وجهه. فلو خرجت له ما أملك لم أكافئه وهو علي أمن مني عليه، اللهم فإن كانت الدنيا لها عندي حظ فلا تجعل لي حظا في الآخره.

---

(١) اللبسة: حاله من حالات اللباس.

(٢) اللحمة: القرابة.

(٣) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ـ ج١ ص٣٠٠ .

وقال سعيد بن العاص: لجليسي علي ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا حدث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له.

وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى. فقال له سعيد: ما يبكيك ؟ قال: أبكي على الأرض أن تأكل مثلك. فأمر له بمائة ألف أخرى.

المبحث الثالث

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)

١ـ خرج الحسن والحسين[١] وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم حجاجا، ففاتتهم أثقالهم؛ فجاعوا وعطشوا، فمروا بعجوز في خباء؛ لها فقال أحدهم: هل من شراب ؟ قالت: نعم. فأناخوا إليها، وليس لديها إلا شويهه[٢]. فقالت: احلبوها فاشربوا لبنها، ففعلوا. فقالوا هل من طعام قالت: لا إلا هذه الشاه فليذبحها أحدكم حتى اهيىء لكم ما تأكلون. فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها[٣] ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا[٤]. فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد الذهاب إلى الحج فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون إليك خيرا وارتحلوا. وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب، وقال: ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش. ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا يلتقطان البعر ويعيشان بثمنه. فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي واقف بباب داره فعرف العجوز فبعث إليها غلامه فدعا بها، فقال لها: ياأمة[٥] الله أتعرفيني ؟ قالت: لا، قال: أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا، قالت: بأبي أنت وأمي. ثم اشترى لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف درهم وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فأمر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال لها: بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت: بألفي درهم وألفي شاة، فقال لها: لو بدأت بي لأتعبتهما في العطاء، أعطوها ألفي درهم وألفي شاة. فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف درهم و أربعة آلاف شاة.

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص٢١٩.

(٢) شويهة: شاه صغيرة.

(٣) كشطها: سلخها.

(٤) دخلوا في آخر النهار.

(٥) أمَّه: أصل الأمة المملوكة

٢ـ وخرج عبد الله بن جعفر[١] إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم فيها غلام أسود يقوم على البستان. فجيء للغلام بثلاثة أرغفة من الخبز من بيت سيده. فدخل كلب فدنا منه فرمى إليه رغيفا فأكله الكلب ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر إليه. فقال له يا غلام: كم قوتك كل يوم ؟ فقال له: ما رأيت. قال: فلم آثرت الكلب؟ قال: لأن أرضنا ليست بأرض كلاب وأعتقد أنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده. قال له. عبد الله: فما تأكل اليوم ؟ قال: أطوي يومي هذا، فقال عبد الله بن جعفر: والله إن هذا لأسخى مني. فاشترى النخل والعبد و أعتقه ووهب ذلك له.

بينما عبد الله بن جعفر في أزقة المدينة إذ سمع غناء فأصغى إليه فإذا بصوت شجي رقيق لقينة تغني[٢]:

قل للكرام ببابنا يلجوا ... ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا أذن فلما رأوه قاموا إليه إجلالاً ورفعوا مجلسه، ثم أقبل عليه صاحب المنزل فقال: يابن عم رسول الله. دخلت منزلنا بلا إذن وما كنت لهذا بخليق. فقال: عبد الله لم أدخل إلا بإذن. وقال: و من أذن لك ؟ قال: قينتك هذه سمعتها تقول:

قل للكرام ببابنا يلجوا ...

فإن كنا كراما فقد أذن لنا، وإن كنا لئاما خرجنا مذمومين، فضحك صاحب المنزل وقال: صدقت، جعلت فداك! ما أنت إلا من أكرم الأكرمين. ثم بعث عبد الله إلى جارية من جواريه فقال: لها غني فغنت، فطرب القوم وطرب عبد الله فدعا بثياب وطيب فكسا القوم وصاحب المنـزل وطيبهم ووهب له الجارية وقال له: هذه أحذق بالغناء من جاريتك.

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص٢٢٣.

(٢) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج٤ ص١٢

المبحث الرابع

لبيد بن ربيعة العامري

وهو لبيد بن ربيعة العامري[1] أحد أشراف الشعراء المجيدين والقواد الفرسان المعمرين وكان جواداً شريفاً في الجاهلية والإسلام وهو من أصحاب المعلقات ولما ظهر الإسلام أسلم وحسن إسلامه ومات سنة ٤١ للهجرة.

وكان قد آلى في الجاهلية أن يطعم ما هبت ريح الصَّبا. ثم أدام ذلك في إسلامه، وكانت له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم. ونزل لبيد الكوفة، وأميرها الوليد بن عقبة، فبينا هو يخطب الناس إذهبت ريح الصبا، فقال الوليد في خطبته: قد علمتم حال أخيكم أبي عقيل وما جعل على نفسه: أن يطعم ما هبت الصبا، وهذا يوم من أيامه، وقد هبت ريحها، فأعينوه وأنا أول من فعل.ثم انصرف الوليد فبعث إليه بمائة من الجزر وبهذه الأبيات:

أرى الجزار يشحذ شفرتيه ... إذا هبت رياح أبي عقيل

أشم الأنف أصيد عامري ... طويل الباع كالسيف الصقيل

وفى ابن الجعفري بما نواه ... على العلات والمال القليل

بنحر الكوم إذ سحبت إليه ... ذيول صباً تجاذب بالأصيل

فلما وصلت الهدية إلى لبيد شكره، وقال: إني تركت الشعر منذ قرأت القرآن، ثم قال لابنته: أجيبيه فلعمري لقد عشت دهرا وما أعيا بجواب شعر فقالت:

إذا هبت رياح أبي عقيل ... دعونا عند هبتها الوليدا

أشم الأنف أصيد عبشمياً ... أعان على مروءته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركباً ... عليها من بني حام قعودا

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص١٩٠..

أبـا وهـب جـزاك الـلـه خـيـرا نـحـرنـاهـا وأطـعـمـنـا الـوفـودا

فـعـد إن الـكـريـم لـه مـعـاد وظـنـي بـابـن أروى أن يـعـودا

فقال لبيد: أجبت وأحسنت، لولا أنك سألت في شعرك. قالت: إنه أمير وليس بسوقة ولا بأس بسؤاله، ولو كان غيره ما سألناه. قال: أجل، إنه على ما ذكرت وأنت يا بنية في هذا أشعر.

ولبيد بن ربيعه من أصحاب المعلقات وهي القصائد المشهورة التي علقت في الكعبة لجودتها والتي كتبت بماء الذهب لذا سميت بالمعلقات.

حيث يقول لبيد في معلقته:

عـفـت الـديـار مـحـلـهـا فـمـقـامـهـا بـمـنـى تـأبـد غـولـهـا فـرجـامـهـا

فـمـدافـع الـريـان عُـرِّيَ رسـمـهـا خـلـقـا كـمـا ضـمـن الـوحـي سـلامـهـا

دمـن تـجـرم بـعـد عـهـد أنـيـسـهـا حـجـج خـلـون حـلالـهـا وحـرامـهـا

رزقـت مـرابـيـع الـنـجـوم وصـابّـهـا ودقُ الـرواعـد جـودهـا فـرهـامـهـا

مـن كـل سـاريـة وغـاد مـدجـن وعـشـيـة مـتـجـاوب إرزامـهـا

فـعـلا فـروع الأيـقـهـان وأطـفـلـت بـالـجـهـلـتـيـن ظـبـاؤهـا ونـعـامـهـا

والـوحـش سـاكـنـة عـلـى أطـلائـهـا عـوذا تـأجـل بـالـقـضـاء بـهـامـهـا

وجـلـى الـسـيـول عـن الـطـلـول كـأنـهـا زيـر تـجـد مـتـونـهـا أقـلامـهـا

أو رجـع واشـمـة اسـف نـؤرهـا كـفـفـا تـعـرض فـوقـهـن وشـامـهـا

فـوقـفـت أسـألـهـا وكـيـف سـؤالـنـا صـمـا خـوالـد لا يـبـيـن كـلامـهـا

ونكتفي بهذا القدر من القصيدة لطولها.

المبحث الخامس

عبيد الله بن معمر القرشي التيمي

لم أقف له على ترجمة.

من جود عبيد الله بن معمر القرشي[1] أن رجلاً أتاه من أهل البصرة كانت له جارية نفيسة قد أدبها بأنواع الأدب حتى برعت وفاقت في جميع ذلك، ثم إن الدهر قعد بسيدها ومال عليه وقدم عبيد الله بن معمر البصرة من بعض وجوهه فقالت لسيدها: إني أريد أن أذكر لك شيئا أستحي منه إذ فيه جفاء مني غير أنه يسهل ذلك علي ما أرى من ضيق حالك وقلة مالك وزوال نعمتك. وما أخافه عليك من الاحتياج وضيق الحال وهذا عبيد الله بن معمر قدم البصرة وقد علمت شرفه وفضله وسعة كفه وجود نفسه. فلو أذنت لي فأصلحت من شأني ثم تقدمت بي إليه وعرضتني عليه هدية، رجوت أن يأتيك من مكافأتهِ ما يقيلك الله به وينهضك إن شاء الله. قال: : فبكى وجداً عليها وجزعاً لفراقها منه ثم قال لها: لولا أنك نطقت بهذا ما ابتدأتك به أبداً . ثم نهض بها حتى أوقفها بين يدي عبيد الله، فقال: أعزك الله هذه جارية ربيتها ورضيت بها لك فاقبلها مني هدية. فقال: مثلي لا يستهدي من مثلك، فهل لك في بيعها، فأجزل لك الثمن عليها حتى ترضى ؟ قال: الذي تراه. قال: يقنعك مني عشرة بدر، في كل بدرة عشرة آلاف درهم. قال: والله يا سيدي ما امتد أملي إلى عشر ما ذكرت، ولكن هذا فضلك المعروف وجودك المشهور. فأمر عبيد الله بإخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه، وقال للجارية: ادخلي الحجاب. فقال سيدها: أعزك الله لو أذنت لي في وداعها، قال: نعم، فوقفت وقام وقال لها وعيناه تدمعان:

---

(١) العقد الفريد ـ المجلد الأول ص٣٠٠ .

أبوح بحزن من فراقك موجع أقاسي به ليلا يطيل تفكري

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري

عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال له عبيد الله بن معمر: قد شئت ذلك، فخذ جاريتك، وبارك الله لك في المال. فذهب بجاريته وماله فعاد غنيا.

المبحث السادس

الحكم بن حنطب

لم أقف له على ترجمة.

قيل[1] لنصيب بن رباح: خرف شعرك أبا محجن ! قال: لا ولكن خرف الكرم ؟

لقد رأيتني مدحت الحكم بن حنطب، فأعطاني ألف دينار ومائة ناقة وأربعمائة شاة، وسأل أعرابي الحكم بن حنطب فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الأعرابي. فقال: ما يبكيك يا أعرابي؟ لعلك استقللت ما أعطيناك ؟

قال: لا والله ولكني أبكي لما تأكل الأرض منك ثم أنشأ يقول:

وكأن آدم حين حان وفاته ... أوصاك وهو يجود بالحوباء

ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم ... وكفيت آدم عيلة الأبناء

العتبي قال: أخبرني رجل من أهل منبج قال: قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مملق فأغنانا، قال: كيف أغناكم وهو مملق ؟ قال: علمنا المكارم، فعاد غنينا على فقيرنا.

---

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص٣٠١.

المبحث السابع

عبيد الله بن أبي بكرة

لم اقف له على ترجمه :

[1] ومن جود عبيد الله بن أبي بكرة انه أدلى إليه رجل بحرمه فأمر بمائة ألف درهم فقال: أصلحك الله

ما وصلني أحد بمثلها قط ولقد قطعت لساني عن شكر غيرك وما رأيت في الدنيا من يد أحد أحسن منها في يدك ولولا أنت لم تبق لها بهجة إلا أظلمت ولا نور إلا طمس.

---

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ـ المجلد الأول ص٣٠٠ .

المبحث الثامن

عبد الله بن عامر بن كريز

لم أقف له على ترجمة.

خرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه. فقال له عبد الله: ألك حاجة يا غلام ؟ قال: صلاحك وفلاحك، رأيتك تمشي وحدك فقلت أقيك بنفسي وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه. فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال: استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك.

وفي الأخبار: اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون لدارهم. فقال: يا غلام ائتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعاً.

المبحث التاسع

خالد بن عبد الله القسري

أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري[1] .

كان أمير العراقيين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي، ولي مكة سنه تسع وثمانين للهجرة، وأمه نصرانية، وكان لجده يزيد صحبة مع رسول اللهﷺ .

وكان خالد معدوداً من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، وكان جوادا كثير العطاء.

دخل عليه شاعر يوم جلوسه للشعراء وقد مدحه ببيتين. فلما رأى اتساع الشعراء في القول استصغر ما قال، فسكت حتى انصرفوا، فقال له خالد: ما حاجتك ؟ فقال: مدحت الأمير ببيتين فلما سمعت قول الشعراء احتقرت بيتيّ، فقال: ما هما؟ فأنشده: ـ

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني ... وأعطيتني حتى حسبتك تلعب

فأنت الندى وابن الندى وأبو الندى ... حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال: ما حاجتك ؟ فقال علي دين، فأمر بقضائه وأعطاه مثله.

وحكى عبد الملك بن قريب الأصمعي قال: دخل أعرابي على خالد القسري فقال: قد امتدحتك ببيتين ولست أنشدكهما إلا بعشرة آلاف درهم وخادم. قال: قل، فأنشأ يقول :

لزمت «نعم» حتى كأنك لم تكن ... سمعت من الأشياء شيئا سوى نعم

وأنكرت «لا» حتى كأنك لم تكن ... سمعت بها في سالف الدهر و الأمم

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ـ ج٢ ص٢٢٦.

فقال أعطه يا غلام عشرة آلاف درهم وخادماً، فتسلمها.

ودخل عليه أعرابي فقال: قد قلت شعرا، وأنشأ يقول:

أخالد إني لم أزرك لحاجة ... سوى أنني عافٍ وأنت جواد

أخالد إن الأجر والحمد حاجتي ... فأيهما تأتي وأنت عماد

فقال خالد: سل يا أعرابي، قال: وجعلت المسألة إليّ أصلح الله الأمير ؟ قال: نعم. قال: مائة ألف درهم. قال: أكثرت يا أعرابي، قال: فأحطك ؟ قال: نعم، قال: قد حططتك تسعين ألفاً . قال له خالد: يا أعرابي لا أدري من أيّ أمريك أعجب، فقال: أصلح الله الأمير أنت جعلت المسألة إلي فسألتك على قدرك وما تستحقه في نفسك، فلما سألتني أن أحط حططت على قدري وما استأهله في نفسي، فقال له خالد: والله يا أعرابي لا تغلبني، يا غلام أعطه مائة ألف درهم فدفعها إليه.

ولما كان خالد في سجن يوسف بن عمر الثقفي في الكوفة مدحه أبو الشغب العبسي بهذه الأبيات:

ألا إن خير الناس حيا وميتا ... أسير ثقيف عندهم في السلاسل

لعمري لئن عمرتم السجن خالدا ... وأوطأتموه وطأة المتثاقل

لقد كان نهاضا بكل ملمة ... ومعطي اللُّها غمرا كثير النوافل

وقد كان يبني المكرمات لقومه ... ويعطي اللُّها في كل حق وباطل

فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ... ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ومن جوده[1] المشهور وكرمه الموفور: ركب خالد في يوم شديد البرد كثير الغيم، فتعرض له رجل في الطريق فقال له: ناشدتك الله إلا ضربت عنقي ! فقال له: أكفر بعد إيمان ؟ قال: لا قال: أفترغب عن طاعة الرحمن ؟ قال: لا، قال: أقتلت نفساً ؟ قال: لا، قال: فما سبب ذلك ؟ قال: لي خصم لجوج قد علق بي، وقهرني. قال: من هو ؟ قال: الفقر ! قال: فكم يكفيك لدفعه ؟ قال: أربعة آلاف درهم. قال: إني ممدك بأربعة آلاف درهم.

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل ج١ ص٢٤٤.

ثم قال خالد: يا غلام ادفع له أربعة آلاف درهم، والتفت وقال: هل ربح أحد من التجار كربحي اليوم ؟ قالوا: وكيف ذلك ؟ قال: عزمت على أن أعطي هذا الرجل ثلاثين ألف درهم، فلما طلب أربعة آلاف درهم وفر علي ستة وعشرين ألف درهم. فلما سمع الرجل ذلك منه قال: حاشاك وأعيذك بالله أن تربح على مؤملك. فقال: يا غلام أعطه ثلاثين ألفا، ثم قال للرجل: اقبض المال واذهب آمنا إلى خصمك ومتى رجع يعارضك فاستنجد بنا عليه.

ومن[1] حسن تخلصه:

صعد خالد بن عبد الله القسري المنبر في يوم جمعة وهو إذ ذاك على مكة، فذكر الحجاج، فحمد طاعته وأثنى عليه.

فلما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك، يأمره فيه بشتم الحجاج ونشر عيوبه، وإظهار البراءة منه. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: إن إبليس كان ملكاً من الملائكة، وكان يُظهرُ من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلاً، وكان الله قد علم من غشه وخبثه ما خفي على ملائكته، فلما أراد الله فضيحته أمره بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم فلعنوه. وإن الحجاج كان يطهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً، وكأن الله أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفي عنا فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على يدي أمير المؤمنين، فلعنه ؛ فالعنوه لعنهُ الله ! ثم نزل.

وخالد[2] هو الذي يقول فيه الشاعر:

إلى خالد حتى أنخن بخالد ... فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل ج٢ ص٣٩٧.

(٢) قصص العرب ـ ج١ ص٢١٥

وبينما خالد القسري جالس في مظلة له إذ نظر إلى أعرابي يخب به بعيره مقبلا نحوه، فقال لحاجبه: إذا قدم فلا تحجبه، فلما قدم أدخله عليه فسلم وقال:

أصلحك الله قل ما بيدي ... فما أطيق العيال إذ كثروا

أناخ الدهر وألقى بكلكله ... فأرسلوني إليك وانتظروا

فقال خالد أرسلوك وانتظروا والله لا تنزل حتى تنصرف إليهم بما يسرهم وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة.

وكانت نهاية خالد بن عبد الله القسري عندما عزله هشام بن عبد الملك عن العراق وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي. وحبس يوسف خالد في الكوفة وعذبه بأنواع العذاب ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد. قيل: إنه وضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى انقصفا ثم رفع الخشبتين إلى ساقيه وعصرهما حتى انقصفا ثم إلى وركيه ثم إلى صلبه فلما انقصف صلبه مات وهو في ذلك كله لا يتأوه ولا ينطق، وكان ذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة للهجرة وذلك بالحيرة ودفن في ناحية منها ليلاً. رحمة الله تعالى على ذلك القائد السخي الجواد الفارس الشجاع.

عن المدائني قال: سأل رجل خالد القسري حاجة فاعتل عليه فقال له: لقد سألت الأمير من غير حاجة. قال: وما دعاك إلى ذلك ؟ قال: رأيتك تحب من لك عنده حسن بلاء. فأردت أن أتعلق منك بحبل مودة. فوصله وحباه وأدنى مكانه.

المبحث العاشر

الطلحات الأجواد[1]

وهم الطلحات المعدودون في الجود ومنهم.

١ـ **طلحة بن عبيدة** أحد العشرة المبشرة بالجنة وهو طلحة الفياض.

٢ـ **طلحة الخير طلحة الجود** هو ابن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي .

٣ ـ طلحة الندى[2]

وهو طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري المعروف بطلحة الندى وهو من بني زهرة .

١ـ قال بعض مشيخة قريش: أذن الوليد بن عبد الملك يوما للناس، فدخلوا عليه فكان أول من بدر بين يديه عويف القوافي الفزاري فاستأذنه في الإنشاد، فقال: ما بقيت لي بعد ما قلت لأخي بني زهرة؟ قال: وما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين؟ قال: ألست الذي تقول:

يا طلح أنت أخو الندى وحليفه ... إن الندى من بعد طلحة ماتا

إن الفعال[3] إليك أطلق رحله ... فبحيث بت من المنازل باتا

ألست الذي تقول:

إذا ما جاء يومك يا بن عوف ... فلا مطرت على الأرض السماء

تساقى الناس بعدك يابن عوف ... ذريع[4] الموت ليس له شفاء .

---

(١) نزهه الجليس ومنية الأديب الأنيس / للعباس بن علي الموسوي الحبشي المكي ج١ ص ٢١٠ .

(٢) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل ج١ ص ٢٣٤.

(٣) الفعال: الكرم.

(٤) ذريع: موت سريع.

ألم تقم علينا الساعة يوم قامت عليه ؟ لا والله لا أسمع منك شيئا ولا أنفعك بنافعة أبدا. أخرجوه عني.

فلما أخرج قال له :

القرشيون والشاميون: ما الذي أعطاك طلحه حين استخرج هذا منك ؟ قال أما والله لقد أعطاني غيره أكثر من عطيته ولكن لا والله ما أعطاني أحد قط أحلى في قلبي ولا أبقى شكراً ولا أجدر ألا أنساها من عطيته! قالوا: وما أعطاك قال:

قدمت المدينة ومعي بضيعة لي لا تبلغ عشرة دنانير أريد أن أبتاع قعودا من قعدان الصدقة فإذا برجل في صحن السوق على طنفسة قد طرحت له وإذا الناس حوله، وإذا بين يديه إبل فظننت أنه عامل السوق. فسلمت عليه فأثبتني[1] وجهلته.

فقلت: رحمك الله ! هل أنت معيني على قعود من هذه القعدان تبتاعه لي ؟ فقال نعم أو معك ثمنه؟ فقلت: نعم!. فأهوى بيده إلي فأعطيته بضيعتي فرفع طنفسته وألقاها تحتها ومكث طويلا ثم قمت إليه: فقلت رحمك الله! انظر في حاجتي فقال: ما منعني منك إلا النسيان أمعك حبل ؟ قلت نعم. قال: أخرجوا.

فأخرجوا عنه حتى استقبل الإبل التي بين يديه فقال: اقرن هذه وهذه وهذه، فما برحت حتى أمر لي بثلاثين بكرة أدنى بكرة منها خير من بضاعتي! ثم رفع طنفسته فقال: وشأنك ببضاعتك فاستعن بها على من ترجع عليه.

فقلت رحمك الله! أتدري ما تقول ؟ فما بقي أحد عنده إلا نهرني وشتمني! ثم بعث معي نفرا فأطردوها حتى أطلعوها من رأس الثنية فوالله لا أنساه ما دمت حيا.

وكان من عادات طلحة. إذا أصاب مالا أن يفتح بابه ليغشاه أصحابه والناس فيطعم ويجيز حتى ينفد ما عنده فيغلق الباب فلا يقصده أحد..

---

(١) أثبتني: عرفني حق المعرفة.

٤ ـ طلحة الطلحات[١]

وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخز اعي وكان والياً على سجستان من قبل مسلم بن زياد ابن أبيه والي خراسان، وكنيته أبو حرب ومات فيها في فتنة عبد الله بن الزبير ﷺ .

وإنما سمِّي بطلحة الطلحات بسبب أمه وهي صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة وإن أخاها طلحة بن الحارث وقد مدحه سحبان بن وائل الباهلي فقال:

يا طلح أكرم من مشى حسبا وأعطاهم لتالد
منك العطاء فأعطني وعلى مدحك في المشاهد.

فقال له طلحة احتكم فقال: برذونك الورد وغلامك الخباز وقصرك الذي بمكان كذا وعشرة آلاف درهم فقال طلحة: أف لك سألتني على قدرك ولم تسألني على قدري لو سألتني كل عبد وكل دابة وكل قصر لي لأعطيتك.

وله يقول الشاعر[٢] يرثيه حيث مات بسجستان وهو والٍ عليها.

نضر الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات.

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل وشركاؤه ج١ ص ٣٢٧ .

(٢) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص ٢٩٤ .

المبحث الحادي عشر

المهلب بن أبي صفرة الأزدي[1]

نسبه: هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة ـ كانت له بنت اسمها صفرة وبها كان يكنى ـ واسمه ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث ابن العتيك بن الأزد، ويقال الأسد بالسين الساكنة، ابن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، الأزدي العتكي البصري. وكان أهل دبا وأسلموا في عهد رسول الله ﷺ، ثم ارتدوا بعده ومنعوا الصدقة، فوجه إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، فقاتلهم وهزمهم وسبى ذراريهم وجاء بالأسرى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من بين الأسرى أبو صفرة فأعتقهم أبو بكر رضي الله عنه وقال لهم: اذهبوا حيث شئتم، فتفرقوا، فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة.

وكان له أولاد ومنهم المهلب وكان من أشجع الناس، وحمى البصرة من الخوارج، وكانت له معهم وقائع مشهورة بالأهواز وكان سيداً جليلاً نبيلاً، وقال عنه عبد الله بن الزبير[2] أيام خلافته على الحجاز والعراق: بأنه سيد أهل العراق. وتقلبت به الأحوال وآخر ما ولي خرا سان، وأخبار شجاعته في المعارك والفتوحات كثيرة حتى وصلت فتوحاته سمرقند يطول شرحها فتركناها.

وظل المهلب واليا على خرا سان إلى أن توفي فيها سنة ٨٣ هجرية في قرية يقال لها زاغول من أعمال مرو الروذ من ولاية خرا سان رحمه الله ولما حضرته الوفاة عهد إلى ابنه يزيد ولاية خرا سان.

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ـ ج٥ ص٣٥٠. بتصرف.

(٢) المصدر نفسه.

وله كلمات لطيفة وإشارات تدل على مكارمه ورغبته في حسن السمعة والثناء الجميل فمن ذلك قوله: الحياة خير من الموت والثناء الحسن خير من الحياة، ولو أعطيت مالم يعطه أحد لأحببت أن تكون لي أذن أسمع بها ما يقال في غدٍ إذا مت.

ولما مات رثاه الشعراء وأكثروا، وفي ذلك يقول نهار بن توسعة الشاعر المشهور:

ألا ذهب الغزو والمقرّب للغنى ... ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمر الروذ لا يبرحانها ... وقد قعدا من كل شرق ومغرب

وكان المغيرة بن المهلب المذكور قد مزق قباء ديباجا كان على زياد الأعجم فقال زياد في ذلك:

لعمرك ما الديباج مزقت وحده ... ولكنما مزقت عرض المهلب

فبلغ ذلك المهلب فأرضاه واستعطفه.

وذكر أبو الحسين علي بن أحمد السلامي في كتاب «تاريخ ولاة خرا سان»: أن رجلاً سمع من زياد الأعجم هذه القصيدة قبل أن يسمعها المهلب فجاء إلى المهلب فأنشده إياها، فأعطاه مائة ألف درهم ثم أتاه زياد الأعجم فأنشده إياها فقال له: أنشدنيها رجل قبلك. فقال إنما سمعها مني فأعطاه مائة ألف درهم.

وخلف المهلب عدة أولاد نجباء كرماء أجواداً أمجاداً.وقال ابن قتيبة في كتاب (المعارف): ويقال أنه وقع على الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد. حيث أصبح للمهلب عقب كثير بخرا سان يقال لهم المهالبة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة وهو الأ خنس الطائي:

نزلت على آل المهلب شاتياً ... بعيداً عن الأوطان في الزمن المحل

فما زال في معروفهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم أهلي

وفي هذا العصر برز آل المهلب كقادة وأجواد قل نظيرهم في الشجاعة والكرم.

المبحث الثاني عشر

أجواد آل المهلب

١ـ يزيد بن المهلب

استعمل الوليد بن عبد الملك[١] عثمان بن حيان المري بالغلظة على أهل الظنة فلما استخلف سليمان بن عبد الملك أخذه بألفي ألف درهم فاجتمعت القيسية في ذلك فتحملوا شطرها وضاقوا ذرعاً بالشطر الثاني. ووافق ذلك استعمال سليمان يزيد بن المهلب على العراق، فقال عمر بن هبيرة: عليكم بيزيد بن المهلب فمالها أحد غيره فتحملوا إلى يزيد وفيهم عمر بن هبيرة، والقعقاع بن حبيب، والهذيل بن زمر بن الحارث وانتهوا إلى رواق يزيد بن المهلب. قال يحيى بن أقتل وكان حاجبا ليزيد بن المهلب وكان رجلاً من الأزد: فأستأذنت لهم فخرج يزيد إلى الرواق فقرب ورحب ثم دعا بالغداء فأتوا بطعام ما أنكروا منه أكثر مما عرفوا فلما تغدوا تكلم عثمان بن حيان وكان لسناً مفوهاً وقال: زادك الله في توفيقك أيها الأمير إن الوليد بن عبد الملك وجهني إلى المدينة عاملاً عليها وأمرني بالغلظة على أهل الظنة والأخذ عليهم وإن سليمان أغرمني غرما والله ما يسعه مالي ولا تحمله طاقتي، فأتيناك لتحمل من هذا المال ما خف عليك وما بقي والله ثقيل علي. ثم تكلم كل منهم بما حضره. فقال يزيد: مرحباً بكم أهلاً إن خير المال ما قضي به الحقوق وحملت به المغارم وإنما لي من المال ما فضل عن إخواني، وايم الله لو علمت أن أحداً آمل بحاجتكم مني لهديتكم إليه فاحتكموا وأكثروا، فقال عثمان بن حيان : النصف أصلح الله الأمير، قال: نعم وكرامة أغدو على مالكم فخذوه. فشكروا له وقاموا فخرجوا فلما صاروا على باب السرداق قال: عمر

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٦ ص٢٨١.

ابن هبيره قبح الله رأيكم والله ما يبالي يزيد انصفها تحمل أم كلها فمن لكم بالنصف الباقي قال: القوم هذا والله الرأي وسمع يزيد بمناجاتهم فقال لحاجبه: انظر يا يحيى إن كان بقي على القوم شيء فليرجعوا فرجعوا إليه وقالوا: اقلنا قال: قد فعلت قالوا: فإن رأيت أن تحملها كلها فأنت أهلها وإن أبيت فما لها أحد غيرك قال: قد فعلت. وغدا يزيد إلى سليمان فقال: يا أمير المؤمنين أتاني عثمان بن حيان وأصحابه، قال: أمسك في المال، قال: نعم، قال سليمان: والله لآخذنهُ منهم. قال يزيد: أني قد حملته، قال: فأده. قال يزيد: والله ما حملته إلا لتأديته. ثم قال: يا أمير المؤمنين إن هذه الحمالة وإن عظم خطبها. فحمدها والله أعظم منها ويدي مبسوطة بيدك فابسطها لسؤالها. ثم غدا يزيد بالمال على الخزان فدفعه إليهم فدخلوا على سليمان فأخبروه بقبض المال فقال: وفت يمين سليمان. احملوا إلى أبي خالد ماله.

وقال الأصمعي[1]: قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة من بني ضبة فقال رجل منهم:

والله ما ندري إذا ما فاتنا ... طلب إليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ... أحداً سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا ... أو لا فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار فلما كان في العام المقبل وفد عليه فأنشده:

مالي أرى أبوابهم مهجورة ... وكأن بابك مجمع الأسواق
أرجوك أم خافوك أم شاموا الندى ... بيديك فانتجعوا من الآفاق
إني رأيتك للمكارم عاشقا ... والمكرمات قليلة العشاق.

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ـ ج٦ ص ٢٨٣,

وقال الأصمعي [1] إن الحجاج قبض على يزيد وأخذه بسوء العذاب، فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم، فإن أداها وإلا عذبه إلى الليل. قال: فجمع يزيد يوما مائة ألف درهم ليشتري بها عذابه في يومه، فدخل عليه الأخطل الشاعر فقال:

أبا خالد بادت خرا سان بعدكم وصاح ذوو الحاجات أين يزيد

فلا مطر المروان بعدك مطرة ولا اخضر بالمروين بعدك عود

فما لسرير الملك بعدك بهجة ولا لجواد بعد جودك جود

قوله في البيت الثاني (فلا مطر المروان ولا اخضر بالمروين) هما تثنية مرو. إحداهما مرو الشاهجان، وهي العظمى، والأخرى مرو الروذ، وهي الصغرى، وكلتاهما مدينتان مشهورتان بخراسان. قال: فأعطى الاخطل مائة ألف التي كان يريد بها شراء عذابه فبلغ ذلك الحجاج، فدعا به وقال: يا مروزي أكل هذا الكرم وأنت بهذه الحالة ؟ وقد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده.

وذكر الحافظ أن يزيد بن المهلب لما هرب من الحجاج قاصداً سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ بالرملة، فاجتاز في طريقه بالشام على أبيات عرب، فقال لغلامه: اسقنا من هؤلاء لبنا، فأتاه بلبن فشربه فقال: أعطهم ألف درهم.

فقال الغلام: إن هؤلاء لا يعرفونك. قال: لكن أعرف نفسي، أعطهم ألف درهم فأعطاهم.

وقال المدائني [2]: كان سعيد بن عمرو بن العاص مؤاخيا ليزيد بن المهلب، فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب منع الناس من الدخول إليه، فأتاه سعيد فقال: يا أمير المؤمنين، لي على يزيد خمسون ألف درهم، وقد حلت بيني وبينه، فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه، فأذن له، فدخل عليه، فسر به يزيد وقال: كيف دخلت إلي؟ فأخبره

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ـ ج٦ ص ٢٧٩ .

(٢) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ـ ج٦ ص ٢٨٠ .

سعيد، فقال: والله لاتخرج والله إلا وهي معك فامتنع سعيد، فحلف يزيد ليقبضنها فوجه إلى منزله، حتى حمل إلى سعيد خمسون ألف درهم وزاد ابن عساكر

فقال: وفي ذلك قال بعضهم:

فلم أر محبوسا من الناس ماجداً حيا زائرا في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازه بخمسين ألفا عجلت لسعيد.

وقال: الحافظ حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا فجاء وحلق رأسه فأمر له بألف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال: هذه الألف إلى أمي فلانه أشتريها فقال: أعطوه ألفا أخرى. فقال الحلاق امرأتي طالق إن حلقت رأس أحد بعدك فقال: أعطوه ألفين آخرين.

ومن كرمه[1] ـ دخل كريز بن زفر بن الحارث على يزيد بن المهلب فقال: : أصلح الله الأمير أنت أعظم من أن يستعان بك ويستعان عليك، ولست تفعل من الخير شيئا إلا وهو يصغر عنك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل.. قال: سل حاجتك. قال: قد حملت عن عشيرتي عشر ديات. قال: قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها.

وقال أبو الحسن المدائني: باع وكيل ليزيد بن المهلب بطيخا جاءه مَغَل أحد أملاكه بأربعين ألف درهم. فبلغ ذلك يزيد فقال له: تركتنا بقالين أما كان في عجائز الأزد من تقسمه فيهن.

ومدحه عمر بن لجأ بشعر يقول فيه:

آل المهلب قوم إن نسبتهم كانوا الأكارم آباء وأجدادا
كم حاسد لهم يعيا بفضلهم وما دنا من مساعيهم ولا كادا
إن العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حسادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم بما احتكمت من الدنيا لَما حادا
إن المكارم أرواح يكون لها آل المهلب دون الناس أجسادا

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص٢٥٥ .

وقال[1] الأصمعي: قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة من بني ضبَّة فقال رجل منهم:

والله ما ندري إذا ما فاتنا ... طلب لديك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ... أحداً سواك إلى المكارم ينسب
فأصبر لعادتنا التي عودتنا ... أولا فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار.

ومن كرمه وجوده: مر يزيد بن المهلب في طريق البصرة بأعرابية فأهدت إليه عنزا فقبلها، فقال لابنه معاوية: ما عندك من نفقة؟ فقال: ثمانمائة درهم، قال: ادفعها إليها؛ قال: إنها لا تعرفك ويرضيها اليسير. قال: إن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي وإن كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير.

٢ـ مخلد بن يزيد بن المهلب

وهذا جواد آخر من آل المهلب[2] وهو مخلد بن يزيد بن المهلب، وذكره الحافظ المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير. أن مخلدا بن يزيد بن المهلب أحد الأسخياء الممدوحين. وفد على عمر بن عبد العزيز ﷺ يكلمه في أمر أبيه يزيد، وقد حبسه عمر، وكان أبوه قد ولاه جرجان فاجتاز في طريقه بالكوفة. فأتاه حمزة بن بيض الحنفي الشاعر المشهور في جماعة من أهل الكوفة فقام بين يديه وأنشده:

أتيناك في حاجة فاقضها ... وقل مرحبا يجب المرحب
ولا لا تكلنا إلى معشر ... متى يعدوا عدة يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرة ... لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدب فيهم ما نشأت ... فنعم لعمرك ما أدبوا
بلغت لعشر مضت من سنيك ... ما بلغ السيد الأشيب

(١) العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ج١ ص٣٠٦.
(٢) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج٦ ص٢٨٤.

فَهمّك فيها جسامُ الأمور وهم لداتك أن يلعبوا

وجدت فقلت ألا سائل فيسأل أو راغب يرغب

فمنك العطية للسائلين ممن ببابك أن يطلبوا

فقال له: هات حاجتك. فقضاها، وقيل أمر له بمائة ألف درهم.

وقدم على مخلد رجل كان قد زاره قبل ذلك فأجازه وقضى حقه، فلما عاد إليه قال له مخلد: ألم تكن أتيتنا فأجزناك، قال: بلى قال: فماذا ردك ؟ قال: قول الكميت فيك:

سألناه الجزيل فما تلكا وأعطى فوق منيتنا وزادا

فأعطى ثم أعطى ثم عدنا فأعطى ثم عدت له فعادا

مرارا ما أعود إليه إلا تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فأضعف له ما كان أعطاه..

ومات مخلد بن يزيد وهو ابن سبع وعشرين سنة، فقال عمر بن عبد العزيز: لو أراد الله بهذا الشيخ خيرا يعني يزيد لأبقى له هذا الفتى. ويقال: أصابه الطاعون فمات، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ﷺ ثم قال: اليوم مات فتى العرب. وأنشد متمثلا :

على مثل عمرو تذهب النفس حسرة وتضحي وجوه القوم مغبرة سودا

ورثاه حمزة بن بيض الحنفي :

وعطلت الأسرة منك إلا سريرك يوم تحجب بالثياب

وآخر عهدنا بك يوم يحثى عليك بدابق سهل التراب

وقال الفرزدق يرثيه :

وما حملت أيديهم من جنازة ولا ألبست أثوابها مثل مخلد

أبوك الذي تستهزم الخيل باسمه وإن كان فيها قيد شهر مطرد

وقد علموا إذ شد حقويه أنه هو الليث ليث الغاب لا بالمعرد

وعندما حبس عمر بن عبد العزيز ﷺ يزيد بن المهلب بعد وفاة سليمان بن عبد الملك جاء مخلد بن يزيد لمواجهة الخليفة عمر بن عبد العزيز بخصوص حبس والده وقد أنفق ووهب مخلد من عند خروجه من مرو الشاهجان إلى أن ورد دمشق ألف ألف درهم. فلما أراد مخلد الدخول على الخليفة عمر ﷺ لبس ثياباً مستنكرة وقلنسوة لاطية فقال له عمر ﷺ: لقد شمرت. فقال له: إذا شمرتم شمرنا وإذا أسبلتم أسبلنا. ثم قال للخليفة عمر ﷺ: ما بالك وقد وسع الناس عفوك حبست هذا الشيخ فإن تكن عليه بينة عادلة فاحكم عليه وإلا فيمينه، أو فصالحه على ضياعه، فقال يزيد: أما اليمين فلا تتحدث العرب أن يزيد بن المهلب صبر عليها. لكن ضياعي فيها وفاء يطلب.

٣ـ يزيد بن حاتم المهلبي [١]

وهو أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الازدى..

ومن ولده الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي وهم أهل بيت كبير، اجتمع فيه خلق كثير من الأعيان الأمجاد النجباء.

ثم إن المنصور خرج إلى الشام لزيارة بيت المقدس في سنه ١٥٤هـ ومن هناك سير يزيد بن حاتم إلى إفريقية لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر بن حفص، وجهز معه خمسين ألف مقاتل واستقر يزيد المذكور والياً بإفريقية من يومئذ وكان قبلها واليا على مصر من سنه ١٤٤ هـ إلى ١٥٢ هـ.

وكان يزيد بن حاتم جوادا سريا مقصودا ممدحا، قصده جماعة من الشعراء فأحسن جوائزهم. وكان أبو أسامة ربيعة بن ثابت الأسدي الرقي، وقيل إنه من موالي سليم قد قصد يزيد بن أسيد وهو يومئذ والٍ على أرمينيه، وكان قد وليها زمانا طويلا لأبي جعفر المنصور ثم للمهدي وكان يزيد بن أسيد من أشراف قيس وشجعانهم، ومن ذوي الآراء الصائبة، ومدحه ربيعه المذكور بشعر أجاد فيه فقصر في حقه.

---

(١) وفيات الأعيان ـ لأبن خلكان ج٦ ص٣٢١ .

ومدح ربيعة يزيد بن حاتم المهلبي فبالغ في الإحسان إليه، فقال: ربيعة قصيدة يفضل فيها يزيد بن حاتم على يزيد بن أسيد وكان في لسان يزيد بن أسيد تمتمة فعرض بذكرها في هذه الأبيات فقال:

حلفت يمينا غير ذي مثنوية ... يمين امرئ آل بها غير أثم
لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى ... أخو الأزد للأموال غير مسالم
فهمّ الفتى الأزدي إتلاف ماله ... وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أني هجوته ... ولكنني فضلت أهل المكارم
فيا أيها الساعي الذي ليس مدركا ... بمسعاته سعي البحور الخضارم
سعيت ولم تدرك نوال ابن حاتم ... لفك أسير واحتمال العظائم
كفاك بناء المكرمات ابن حاتم ... ونمت وما الأزدي عنها بنائم
فيا ابن أسيد لاتسام ابن حاتم ... فتقرع إن سامية سن نادم
هو البحر إن كلفت نفسك خوضه ... تهالكت في آذية المتلاطم
تمنيت مجدا في سليم سفاهة ... أماني خال أو أماني حالم
ألا إنما آل المهلب غرة ... وفي الحرب قادات لكم بالخزائم
هم بالأنف في الخرطوم والناس بعدهم ... مناسم والخرطوم فوق المناسم
قضيت لكم آل المهلب بالعلا ... وتفضيلكم حق على كل حالم
لكم شيم ليست لخلق سواكم ... سماح وصدق البأس عند الملاحم
مهينون للأموال فيما ينوبكم ... مناعيش دفاعون عن كل جارم.

وهي قصيده طويلة ويكفي منها هذا القدر وكان يزيد بن حاتم قد قصر في حقه أولا فعمل ربيعة أبياتا من جملتها:

أراني ولا كفران لله راجعا ... بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فعاد فعطف عليه وبالغ في الإحسان حيث يقال أن يزيد بن حاتم لما بلغه هذا القول دعا يه وقال: انزعوا خفيه فنزعا وهو خائف من عقوبته فملأهما دراهم ودنانير وكانا كبيرين كأخفاف الجند.

ولما عقد[1] أبو جعفر المنصور ليزيد بن حاتم المذكور على بلاد إفريقية وليزيد بن أسيد السلمي المذكور على ديار مصر خرجا معا، فكان يزيد بن حاتم المهلبي يقوم بكفاية الجيشين فقال: ربيعة الرقي المذكور.

يزيد الخير إن يزيد قومي سميك لا يجود كما تجود

يقود كتيبة ويقود أخرى فترزق من تقود ومن يقود.

وهذا يدل على أن ربيعة المذكور مولى بن سليم لقوله يزيد قومي.

وقدم عليه أشعب المشهور بالطمع على يزيد وهو بمصر فجلس في مجلسه، ودعا بغلامه فسارّه. فقام أشعب فقبل يده، فقال له يزيد: لم فعلت هذا ؟ فقال: إني رأيتك تسار غلامك فظننت أنك قد أمرت لي بشيء فضحك منه وقال: ما فعلت هذا ولكنني أفعل ووصله وأحسن إليه.

وذكر أبو أسعد السمعاني[2] في كتاب الأنساب أن المشهر التميمي الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بإفريقية فأنشده:

إليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نواصله

فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا لديك ولكن أهنأ البر عاجله.

فأمر يزيد بوضع العطاء في جنده وكان معه خمسون ألف مرتزق فقال: من أحب أن يسرني فليضع لزائري هذا من عطائه درهمين، فاجتمع له مائه ألف درهم، وضم يزيد إلى ذلك مائه ألف درهم أخرى ودفعها للشاعر المشهر التميمي وذكر الحافظ أبو القاسم

---

(١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ـ ج٦ ص٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق إن يزيد بن حاتم قال لجلسائه: استنقوا لي ثلاثة أبيات. فقال صفوان بن صفوان من بني الحارث بن الخزرج: أفيك؟ فقال: فيمن شئتم فكأنها كانت في كمه:

لم أدر ما الجود إلا ما سمعت به ... حتى لقيت يزيد عصمة الناس

لقيت أجود من يمشي على قدم ... مفضلا برداء الجود والباس

لو نيل بالجود مجدٌ كنت ... صاحبه وكنت أولى به.

ثم كففت ،فقال: أتمم، من آل عباس فقلت: لا يصلح، فقال: لا يسمعن هذا منك أحد.

وقال: يموت بن المزرع. قال لي الأصمعي يوماً وقد جئته مسلما إلى أن ذكر الشعراء المحسنين المداحين من المولدين، فقال لي: يا أبا عثمان ابن المولى من المحسنين المداحين، ولقد أسهرني في ليلتي هذه حسن مديحه يزيد بن حاتم حيث يقول:

وإذا تباع كريمة أو تشترى ... فسواك بائعها وأنت المشتري

وإذا تخيل من سحابك لامع ... سبقت مخيلته يد المستمطر

وإذا صنعت صنيعه أتممتها ... بيدين ليس نداهما بمكدر

وإذا الفوارس عددت أبطالها ... عدوك في أبطالهم بالخنصر

ولما قدم عليه ابن المولى المذكور أنشده وهو أمير على مصر فقال :

يا واحد العرب الذي ... أضحى وليس له نظير

لو كان مثلك آخر ... ما كان في الدنيا فقير.

فدعا يزيد بخازنه فقال له: كم في بيت مالي ؟ قال: فيه من العين والورق ما مبلغه عشرون ألف دينار. فقال: ادفعها إليه، ثم قال: يا أخي، المعذرة إلى الله تعالى وإليك، والله لو أن في ملكي غيرها لما ادخرتها عنك. و هذا ابن المولى هو أبو عبد الله محمد ابن مسلم.

وقال الطرطوشي في كتاب سراج الملوك قال سحنون بن يزيد: كان يزيد بن حاتم حكيماً يقول: والله ما هبت شيئا قط هيبتي لرجل ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله تعالى فيقول: حسبك الله، الله بيني وبينك.

ولم يزل يزيد والياً بإفريقية إلى أن توفي لاثني عشر من رمضان سنة ١٧٠. هجرية بالقيروان ودفن بباب مسلم واستخلف على أفريقيا ولده داود بن يزيد فعزله هارون الرشيد سنة ١٧٢ هجرية وولاها عمه روح بن حاتم.

٤ـ داود بن يزيد بن حاتم المهلبي[١]

وهو أمير من الشجعان الأجواد العقلاء. دخل رجل بدوي عليه شعث السفر، وكان إذا حضر الطعام يتقدم بصرف البوابين ولا يمنع من الوصول إلى طعامه. فلما فرغ من الطعام وثب قائما وأومى إليه وقال: من أنت يا فتى ؟ قال: شاعر قصدتك بأبيات من الشعر، قال داود: مهلا قليلاً، ثم دعا بقوس فأوترها وأومى إليه، وقال له: قل فإن أنت أحسنت خلعت وأجزلت، وإن أنت أخطأت رميتك بهذا السهم يقع في أي موضع يقع فيه، فتبسم البدوي وقال:

أمنتُ بداود وجود يمينه ... من الحدث المرهوب والبؤس والفقر
وأصبحت لا أخشى بداود نبوة ... ولا حدثاناً إن شددت به أزري
لهَ حكم لقمان وصورة يوسف ... وملك سليمان وصدق أبي ذر
فتى تهرب الأموال من جود كفه ... كما يهرب الشيطان من ليلة القدر
فقوسك قوس الجود، والوتر الندى ... وسهمك فيه الموت، فاقتل به فقري

فضحك داود ورمى بسهمه مع القوس من يده وقال : يا فتى العرب؛ بالله هل كان ذكر القوس في الأبيات ؟ فقال: لا والله. ففرح بذلك وقال: يا فتى العرب بالله أيما أحب إليك: أعطيك على قدرك أم على قدري ؟ قال: بل على قدري، قال: كم على قدرك ؟ قال: مائة ألف درهم. فأمرله بها.

---

(١) قصص العرب ـ لمحمد أبو الفضل ج١ ص٣٩٥.

ثم قال: ما منعك أن تقول على قدري ؟ فقال أيها الأمير: أردت أن أقول ذلك فإذا الأرض لم تساوِ قدر الأمير. فطلبت على قدري! فقال: لله درك! والله إن نثرك لأحسن من نظمك! وأمر له بمائة ألف درهم ثانية، وأمره ألا ينقطع عنه .

ومن كرم وجود داود بن يزيد بن حاتم المهلبي:

كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلساً واحداً فقصده الشعراء لذلك اليوم ينشدونه فوجه إليه مسلم راويته بقصيدته التي أولها :

لا تدع بي الشوق إني غير معمود نهى النهى عن هوى الهيف الرعاديد

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولحقه عقب خروجه عنه فتقدم إلى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ثم قال: استأذن لي على الأمير، قال :ومن أنت ؟ قال: شاعر. قال: قد انصرم وقتك وانصرف الشعراء وهو على القيام.

فقال له: ويحك إني قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع فقال: هات حتى أسمع فإن كان الأمر كما قلت أوصلتك إليه. فأنشده بعض القصيدة فسمع شيئاً يقصر الوصف عنه. فدخل على داود فقال له: قدم على الأمير شاعر بشعر ما قالت العرب مثله فقال له: أدخل قائله، فلما مثل بين يديه سلم. وقال: قدمت على الأمير أعزه الله بمدح يسمعه فيعلم تقدمي على غيري ممن أمتدحه. فقال :هات. فلما افتتح القصيدة وقال (لا تدع الشوق بي) استوى جالساً وأطرق حتى أتى الرجل على آخر الشعر ثم رفع رأسه إليه فقال: أهذا شعرك ؟ قال: نعم أيها الأمير قال: بكم قلته يا فتى قال: في أربعة أشهر أبقاك الله. قال: لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسناً وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك فإن كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعه أشهر في مثله وأمرت بالإجراء عليك فإن جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك. فقال الشاعر أو الإقالة أعز الله الأمير قال: قد أقلتك قال :الشعر لمسلم بن الوليد وأنا راويته والوافد عليك بشعره فقال: أنا ابن حاتم إنك لما افتتحت شعره فقلت.

(لا تدع بي الشوق أني غير معمود). سمعت كلام مسلم يناديني فأجبت نداءه واستويت جالساً ثم قال: يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم واحمل الساعة إلى مسلم بن الوليد مائة ألف درهم.

وهذا جواد آخر من آل المهلب :

قال[1] محمد بن عباد المهلبي دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك وقال: يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بمائة ألف درهم أخرى.

٥ـ الوزير المهلبي[2]

أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلبي الوزير، كان وزير معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي تولى وزارته سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. وكان من ارتفاع القدر واتساع الصدر وعلو الهمة وفيض الكف على ما هو مشهور به، وكان في غاية الأدب والمحبة لأهله.

وكان قبل اتصاله بمعز الدولة بن بويه في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة، وكان من أخباره:

أنه سافر مرة ولقي في سفره مشقة صعبة واشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالا:

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا موت لذيذ الطعم يأتي ... يخلصني من العيش الكريه

إذا أبصرت قبراً من بعيد ... وددت لو أنني مما يليه

ألا رحم المهيمن نفس حر ... تصدق بالوفاة على أخيه

---

(١) إحياء علوم الدين ـ للغزالي ص ٨٤٩ .

(٢) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ـ ج٢ ص١٢٤

وكان معه رفيق يقال له: أبو عبد الله الصوفي، وقيل أبو الحسين العسقلاني، فلما سمع الأبيات اشترى له بدرهم لحما وطبخه وأطعمه وتفارقا.

وتنقلت بالمهلبي الأحوال وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور وضاقت الحال برفيقه في السفر الذي اشترى له اللحم وبلغه وزارة المهلبي فقصده وكتب إليه:

ألا قل للوزير فدته نفسي ... مقالة مذكر ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضنك عيش ... ألا موت يباع فأشتريه

فلما وقف عليه تذكره وهزته أريحية الكرم فأمر له بسبعمائة درهم ووقع في رقعته ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به.

ولما ولي المهلبي الوزارة بعد تلك الإضاقة عمل:

رق الزمان لفاقتي ... ورثى لطول تحرقي

فأنالني ما أرتجيه ... وحاد عما أتقي

فلأ صفحنّ عما أتاه ... من الذنوب السبق

حتى جنايته بما ... صنع المشيب بمفرقي.

وله أيضاً:

قال لي من أحب والبين ... قد جد وفي مهجتي لهيب الحريق

ما الذي في الطريق تصنع بعدي ... قلت أبكي عليك طول الطريق

ومن المنسوب إليه في وقت الإضاقة من الشعر ما كتبه إلى بعض الرؤساء:

ولو أني استزدتك فوق ما بي ... من البلوى لأعوزك المزيد

ولو عرضت على الموتى حياة ... يعيش مثل عيشي لم يريدوا

وقال أبو إسحاق الصابي صاحب كتاب الرسائل: كنت عند الوزير المهلبي يوما فأخذ ورقة وكتب فقلت بديهيا:

لـه يـد بـرعـت جـود بـنـائـلـهـا ومـنـطـق دره فـي الـطـرس يـنـتـشـر
فـحـاتـم كـامـن فـي بـطـن راحـتـه وفـي أنـامـلـهـا سـحـبـان مـسـتـتـر

وكان لمعز الدولة مملوك تركي في غاية الجمال يدعى تكين الجامدار وكان شديد المحبة له. فبعث سرية لمحاربة بعض بني حمدان وجعل المملوك المكور مقدم الجيش وكان الوزير المهلبي يستحسنه ويرى أنه من أهل الهوى لا مدد الوغى فقال فيه:

طـفـل يـرق الـمـاء فـي وجـنـاتـه ويـرف عـوده
ويـكـاد مـن شـبـه الـعـذارى فـيـه أن تـبـدو نـهـوده
نـاطـوا بـمـقـعـد خـصـره سـيـفـا ومـنـطـقـة تـؤوده
جـعـلـوه قـائـد عـسـكـر ضـاع الـرعـيـل ومـن يـقـوده.

وكان كذلك فإنه لم يستطع الانتصار على عدوه بل كانت الهزيمة له.

ومن شعر الوزير المهلبي أيضاً:

تـصـارمـت الأجـفـان لـمـا حـرمـتـنـي فـمـا نـلـتـقـي إلا عـلـى عـبـرة تـجـري

وكانت ولادة الوزير المهلبي سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة وتوفي سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة ودفن في مقبرة النوبختية ببغداد.

ولما مات الوزير المذكور رثاه أبو عبد الله الحسين بن الحجاج الشاعر المشهور بقوله:

يـا مـعـشـر الـشـعـراء دعـوة مـوجـع لا يـرتـجـى فـرج الـسـلـو لـديـه
عـزو الـقـوافـي بـالـوزيـر فـإنـهـا تـبـكـي دمـا بـعـد الـدمـوع عـلـيـه
مـات الـذي أمـسـى الـثـنـاء وراءه والـعـفـو عـفـو الـلـه بـيـن يـديـه
هـدم الـزمـان بـمـوتـه الـحـصـن الـذي كـنـا نـفـر مـن الـزمـان إلـيـه
فـلـيـعـلـمـن بـنـو بـويـه أنـه فـجـعـت بـه أيـام آل بـويـه.

خاتمة آل المهلب

وقال غير الطبري: لما حمل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه فقال له: مه إن يزيد طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما.

وقال بعض جلساء يزيد له: لم لا تتخذ لك دارا ؟ فقال: وما أصنع بها ولي دار حاصلة مجهزة على الدوام ؟ فقال له: وأين هي ؟ قال: إن كنت متوليا فدار الإمارة. وإن كنت معزولا فالسجن.

وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب. فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال: أنس الله الإسلام بتلاحقكم. أما والله لئن لم تكونوا أسباط نبوة أنكم لأسباط ملحمة.

ومن مآثرهم في القول:

مات ابن لحبيب بن المهلب بن أبي صفرة فقدم أخاه يزيد ليصلي عليه فقيل له: أتقدمه وأنت أسن منه والميت ابنك ؟ فقال: إن أخي قد شرفه الناس وشاع فيهم له الصيت ورمته العرب بأبصارها فكرهت أن أضع منه ما رفعه الله تعالى.

قال الكلبي: نشأت والناس يقولون: ضحى بنو أمية بالدين يوم كر بلاء وبالكرم يوم العقر وهو اليوم الذي قتل فيه معظم آل المهلب.

ومن كلام يزيد بن المهلب: ما يسرني أن أكفي أمور دنياي كلها ولي الدنيا بحذافيرها. فقيل: له ولم ذاك ؟ فقال: لأني أكره عادة العجز.

قالوا: لما ظفر المهلب بن أبي صفرة وجه كعب بن معدان إلى الحجاج فسأله عن بني المهلب. فقال: المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا وشجاعا، وجوادهم وشيخهم: قبيصة، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك، وعبد الملك: سم ناقع، وحبيب: موت زعاف، ومحمد: ليث غاب، وكفاك بالمفضل نجدة.

قال: فكيف خلفت جماعة الناس ؟ قال: أخلفتهم بخير قد أدركوا ما أملوا، وأمنوا ما خافوا، قال: فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال: كانوا حماة السرج نهاراً، فإذا أليلوا فرسان البيات. قال: فأيهم أنجد ؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة، لا يدرى أين طرفها، قال: فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟ قال: كنا إذا أخذنا عفونا، وإذا اجتهدوا، اجتهدنا فيهم، فقال الحجاج: ﴿إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[هود: ٤٩]

وقد أجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب. كما لم يكن في دولة لبني العباس أكرم من البرامكة. وكان لبني المهلب في الشجاعة والأقدام والفروسية مواقف مشهورة.

وحكى ابن الجوزي في كتاب الأذكياء: أن يزيد بن المهلب وقفت عليه حية فلم يدفعها عن نفسه فقال له أبوه المهلب: ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة.